

أضواء البيان

@ 312 @ .

ومن قضائهن سبع سماوات في يومين . . .

ومن وحيه في كل سماء أمرها . . .

كل ذلك تفصيل لأمر لم يشهدها ولم يعلموا عنها بشيء ، ومن ضمنها قضاؤه سبع سماوات ، فكان كله على سبيل الإخبار لجماعة الكفار . . .

وعقبه بقوله : { ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } فكان مقتضى هذا الإخبار

وموجب هذا التقدير من العزيز العليم ، أن يصدقوا أو أن يؤمنوا . وهذا من خصائص كل إخبار يكون مقطوعاً بصدقه من كل من هو واثق بقوله : يقول الخبر ، وكان لقوة صدقه ملزم لسامعه ، ولا يبالي فائله بقبول السامع له أو إعراضه عنه . . .

ولذا قال تعالى بعد ذلك مباشرة { فَإِنَّ أَعْرَضُوا } أي بعد إعلامهم بذلك كله ، فلا

عليك منهم { فَاقْلُ } أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } . . .

وحيث إن [] خاطبهم هنا { أَلَمْ تَرَ وَآءِ كَيْفَ } فكان هذا أمر لفرط صدق الإخبار به ، كالمشاهد المحسوس الملزم لهم ؟ .

وقد جاءت السنة وبيئت تلك الكيفية أنها سبع طباق بين كل سماء ، والتي تليها مسيرة

خمسائة عام ، وشمل كل سماء وسمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام . . .

وقد يقال : إن الرؤية هنا في الكيفية حاصلة بالعين محسوسة ، ولكن في شخصية الرسول

صلى [] عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج حيث عرج به ورأى السبع الطباق ، وكان يستأذن

لكل سماء . ومشاهدة الواحد من الجنس كمشاهدة الجميع ، فكأننا شاهدناها كلنا لإيماننا

بصدقه صلى [] عليه وسلم ، ولحقيقة معرفتهم إياه صلى [] عليه وسلم في الصدق من قبل .

والعلم عند [] تعالى . قوله تعالى : { وَاتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ

وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا } . ينص تعالى هنا أن قوم نوح اتبعوا من هذا وصفه مع أن

المال يزيد الإنسان نفعاً . وقد بين تعالى أن المال فعلاً قد يورث خسارة ، وهلاكاً كما في

قوله تعالى : { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ } أي بالظن يكون

إهلاكاً . قوله تعالى : { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَبَّ لَكَ تَذَرُ عَلَيَّ الْإِسْرَافَ مِنَ

الْكَافِرِينَ دَيْتَارًا إِنَّ تَذَرُهُمْ يُضِلُّوهُ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا

إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا } .